الصّارم المسلول
على أبناء سلول

جمع وترتيب

أبو أحمد سيّد عبد العاطي بن محمد الذهبي

غفر الله له ولوالديه ولزوجه وولده وللمسلمين والمسلمات

دار المحدثين

للبحث العلمي والترجمة والنشر

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م
رقم الإيداع
٢٠١٣ / ١٠١١٥

الإدارة والمركز الرئيسي: ١٩٧ ش أبو بكر الصديق - تقسيم عمر بن الخطاب - جسر السويس - القاهرة
تليفون وفاكس: ٢٦٩٩٩٥٥١ (٠٠٢٠٢)
رئيس مجلس الإدارة: ٠١١١/٤١٥٥٨٨٨ (٠٠٢)
الإدارة والمبيعات: ٠١١١/٤١٥٥٨٨٨ (٠٠٢)
البريد الالكتروني: muhaddethin@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سبحانه من إله عظيم، ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت القيامة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا بالنظر إلى وجهه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آل بيته الأطهار وصحبه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ

فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

ثم أما بعد؛

فاعلم أخي -أرشدك الله تعالى لما يحبه ويرضاه- أن الأمة المسلمة تعيش واقعاً مريراً بحق، إنه واقع الذلّ والهوان والضعف والانكسار، بعد أن سادت وقادت قروناً وعلَّمت العالم معنى الحضارة،فبعد العزة كان الذل، وبعد الانتصارات كانت الانكسارات، وتسلط على وسائل الإعلام في دول الإسلام شرذمة من المنافقين والمنافقات المأجورين والمأجورات -إلا من رحم ربي وعصم- يبثون سمومهم ليل نهار لطمس هوية هذه الأمة وإبعادها عن مناط عزها ومجدها، عن الإسلام، تارة بالطعن في السنة وحملتها، وتارة بهدم الثوابت والأصول، وتارة بهدم الفضائل والترويج للرذائل.

ومن المعلوم أن النفاق مرض خطير وجرم كبير، وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، والنفاق أخطر من الكفر، وعقوبته أشد لأنه كفر بلباس الإسلام، وضرره أعظم، ولذلك جعل الله المنافقين في أسفل النار كما قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

والمنافقون دائماً في حيرة وتقلب، في خداع ومكر، ظاهرهم مع المؤمنين وباطنهم مع الكافرين، حيناً مع المؤمنين وحيناً مع الكافرين،

قال الله -تعالى- عنهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤٣].

والمنافقون لفساد قلوبهم أشد الناس إعراضاً عن دين الله كما أخبر الله -تعالى- عنهم فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

وتصرفات المنافقين تدور مع مصالحهم، فإذا لقوا المؤمنين أظهروا الإيمان والموالاة غروراً منهم للمؤمنين ومصانعة وتقية وطمعاً فيما عندهم من خير ومغانم، وإذا لقوا سادتهم وكبراءهم قالوا نحن معكم على ما أنتم عليه من الشرك والكفر، كما قال الله -تعالى- عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُون * اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

وحيث أن خطر الكفار والمنافقين على الأمة الإسلامية عظيم لذا أمر الله رسوله ﷺ بجهادهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

من أجل ذلك شَرَعْتُ في كتابة هذه الرسالة للتحذير من خطر المنافقين، وأسميتها «الصارم المسلول على أبناء سلول».

فعبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق في مدينة رسول الله ﷺ كثر

أبناؤه في زماننا واستفحل خطرهم واستشرى شرهم، فأردت أن أُحذِّر أمتي من أبناء سلول ببيان صفاتهم وأحوالهم من خلال الكتاب والسنة لنكون على بينةٍ من أمرنا ونعرف كيف نتعامل معهم وكيف نواجههم لنعود بأمتنا إلى عِزّها الذي لا سبيل إليه إلا بالعودة إلى القرآن الكريم تلاوة وفهماً وتدبراً وعملاً بما فيه من تصديق الخبر وتنفيذ الأمر واجتناب النهي، والعودة إلى سنة النبي ﷺ فهماً وتطبيقاً عمليّاً، فبالقرآن والسنة تنصر الأمة وتعود لها مكانتها المفقودة.

هذا وكل كتاب سوى كتاب الله - سبحانه وتعالى - هو عرضة للنقد والانتقاد والتخطئة والتصحيح، فمن رأى زلة قلم أو نبوة فهم، فليصحح وليقوم فالقلب منشرح والأذان صاغية،

وما وجدتم فيه من صواب وخير فمن الله -تعالى - ، وما وجدتم فيه من خطأ فمني ومن الشيطان وأنا أبرأ إلى الله منه في حياتي ومماتي، وأسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه:

أبو أحمد سيّد عبد العاطي بن محمد الذهبي

غفر الله له ولوالديه ولزوجته وولده وللمسلمين والمسلمات

التمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول
تعريف النفاق

النفاق في اللغة: النفاق فعل المنافق يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقاً، أما أصله فقد اختلف فيه على قولين، فقيل: إنه مأخوذ من النفق؛ لأن المنافق يستر كفره فهو كمن يدخل النفق يستتر فيه، وقيل: إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع أي جحره فإنه يخرق الأرض حتى إذا كاد أن يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج فإذا رابه ريب دفع تلك القشرة برأسه فخرج، ومنه اشتقاق النفاق لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر فكأن الإيمان يخرج منه أو يخرج هو من الإيمان في خفاء، وظاهر جحر اليربوع تراب كالأرض وهو في الحقيقة حفرة، وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر[1].

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/ ٤٥٤ -٤٥٥ والنهاية لابن الأثير (٥/ ٩٨) ولسان العرب (٨/ ٩٥٠٨) والقاموس المحيط للفيروز آبادي ١١٩٦ مادة نفق.

النفاق شرعاً: هو ستر الكفر وإظهار الإسلام، وذلك بأن يكون في الظاهر أمام الناس يدعى الإسلام ويظهر لهم أنه مسلم وربما يعمل أمامهم بعض العبادات كالصلاة والصيام والحج وغيرها ولكن قلبه والعياذ بالله لا يؤمن بتفرد الله - تعالى - بالألوهية أو بالربوبية أو لا يؤمن برسالة النبي ﷺ أو يبغضه،

أو لا يؤمن بكتب الله المنزلة، أو لا يؤمن بعذاب القبر، أو لا يؤمن بالبعث، أو يعتقد أن دين النصارى أو دين اليهود أو دين غيرهم من الكفار حق أو خير من الإسلام، أو يعتقد أن الإسلام دين ناقص أو لا يصلح للتطبيق في هذا العصر، أو يعتقد أن فيه ظلماً لبعض فئات المجتمع، أو فيه ظلم للنساء، أو أن بعض تشريعاته فيها ظلم أو ليس فيها تحقيق لمصالح العباد؛ وغير ذلك من الاعتقادات المخرجة من الملة[1].

---

(١) راجع تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية للشيخ: عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، حفظه الله تعالى (ص١٠٣-١٠٤) بتصرف يسير

المبحث الثاني
أنواع النفاق وحكمه

أولاً: أنواع النفاق:

ينقسم النفاق إلى قسمين:

أحدهما: **النفاق الأكبر** وهو النفاق الاعتقادي (أي في أصل الدين) وهو مخرج من الإسلام بأن يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، قال الله -تعالى -: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] وعامة الآيات القرآنية يقصد بها هذا المعنى[١].

والثاني: **النفاق الأصغر** وهو النفاق العملي (أي النفاق في فروع الدين) وهو دون الكفر لكنه اختلاف بين السريرة والعلانية،

فمن أظهر أنه صادق أو موف أو أمين وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقاً، لا أن يبطن في قلبه كفراً وشكاً وتكذيباً يخفيه عن الناس ويظهر إسلاماً

---

(١) انظر النفاق وأثره د. عادل الشدى ص:٤٦.

لا حقيقة له، وهذا النوع من النفاق وردت فيه نصوص في السنة المطهرة نذكر منها:

١- ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان**»[١].

٢- ما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن عمرو -رضي الله تعالى عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**»[٢].

فمن اتصف بهذه الصفات من أهل التوحيد فقد اتصف ببعض صفات المنافقين، ولكن ذلك لا يستلزم أن يكون هذا المسلم المتصف بالكذب أو الخيانة مثلاً قد خرج عن الإيمان بالكلية، لأن الإيمان يرفعه درجات عن النفاق، ولكنه يحاسب على هذه الأخلاق الذميمة.

---

(١) رواه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩)

(٢) البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨)

ولذلك يسمى العلماء هذه الأفات المهلكات بـ: «النفاق العملي» يقصدون أن المتصف بها آثم مستحق للعقوبة إن لم يتب منها ولم يكن هناك مانع من تنفيذ العقوبة عليه في الآخرة، ولكنه ليس في درجة المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

ولذلك ذهب العلماء في تأويل هذه الأحاديث إلى خمسة أقوال:

أ. المقصود بالحديث هو تشبيه المسلم المتصف بهذه الأخلاق الذميمة بالمنافق، فالحديث على سبيل المجاز، وليس على سبيل الحقيقة، وهذا جواب الإمام النووي - رحمه الله تعالى -.

ب. المقصود بالنفاق هنا النفاق العملي وليس النفاق الاعتقادي، وهذا جواب القرطبي ورجحه الحافظ ابن رجب والحافظ ابن حجر العسقلاني وهذا أرجح الأقوال.

ج. وقيل: المراد بإطلاق النفاق الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال وهذا ارتضاه الخطابي.

د. المراد: من اعتاد هذه الصفات حتى أصبحت له سجية وخلقاً دائماً حتى تهاون بها واستخف أمرها فهذا كأنه مستحل لها، ومثله يغلب عليه فساد الاعتقاد.

هـ. المقصود بالحديث ليس المسلمين وإنما المنافقون الحقيقيون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ولكن ضعَّف هذا الوجه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص: ٤٣٠/ ١.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله - تعالى -:

«فيه أيضاً دليل على أن الإنسان قد يجتمع فيه خصال إيمان وخصال نفاق لقوله: «كان فيه خصلة من النفاق» هذا مذهب أهل السنة والجماعة: أن الإنسان يكون فيه خصلة نفاق وخصلة فسوق، وخصلة عدالة وخصلة عداوة وخصلة ولاية، يعني أن الإنسان ليس بالضرورة أن يكون كافراً خالصاً أو مؤمناً خالصاً بل قد يكون فيه خصال من الكفر وهو مؤمن وخصال من الإيمان»[1]

فالأعمال السابقة المذكورة في الأحاديث هي من صفات المنافقين، ومن وقع فيها من المسلمين يكون قد وقع في النفاق العملي وهو النفاق الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الملة غير أن صاحبه على خطر عظيم إن لم يتب إلى الله - تعالى -، وهذا النوع وقع فيه إخوة يوسف - عليه

---

(١) شرح رياض الصالحين للعثيمين ٥٠/ ٤

السلام - فقد جمعوا هذه الخصال[١] ثم تابوا منها وهذا النفاق الأصغر هو الذي كان يخافه السلف على نفوسهم[٢].

ثانياً: حكم النفاق:

أ. حكم النفاق الاعتقادي:

حكم النفاق الاعتقادي هو كحكم الكافرين لأن المنافقين في الحقيقة كفار وإن كانوا أسوأ حالاً من سائر الكفار لأنهم زادوا على الكفر الكذب والمراوغة والخداع، وضررهم على المسلمين أشد لأنهم يندسون بين المسلمين ويظهرون أنهم منهم ويحاربون الإسلام باسم الإصلاح والحداثة والتنوير، ولذلك فهم أشد عذاباً في الآخرة من سائر الكفار كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٤٦-٤٧)

(٢) مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٩٢٨) وفتح الباري (١/ ١١١) وقد أشار إلى هذا الاختلاف في أنواع النفاق أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن (٢/ ٩٨٣) وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوي (٧/ ٥٢٤) و(١١/ ١٤٠-١٤٣) وابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٣٧٦) وابن رجب في جامع العلوم والحكم: (٣٧٥) وابن حجر في الفتح (١/ ٨٩) وهو مروي عن الحسن البصري ذكر ذلك الترمذي في سننه كتاب الإيمان (٥/ ٢٠)

وكما قال - تعالى -: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨].

ب. حكم النفاق العملي:

حكم النفاق الأصغر (العملي) حكمه حكم الفسق، وهو معصية يجب الرجوع عنها والتوبة إلى الله منها قبل الفوت وقبل الموت، لأن من وقع في هذه المهلكات فهو يستحق الوعيد في الآخرة ما لم يكن هناك مانع من توبة أو شفاعة.

الفصل الأول
سورة البقرة والحديث عن المنافقين

اعلم أخي -أرشدك الله لما يحبه ويرضاه- أن أقسام الناس ثلاثة: أهل الإيمان وأهل الكفر والعناد وأهل النفاق وقد أنزل الله تعالى ثلاث سور تحمل كل سورة اسماً لقسم من هذه الأقسام الثلاثة فهناك سورة المؤمنون وسورة المنافقون وسورة الكافرون وفي صدر سورة البقرة تحدث القرآن الكريم عن كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة ببيان بعض صفات كل قسم على النحو الآتي:

أ- بعض صفات أهل الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

ففي هذه الآيات البينات يوضح ربنا سبحانه وتعالى بعض صفات القسم الأول من أقسام الناس وهم أهل التقوى أهل الإيمان.

وهذه الصفاتهي:

أولاً: الإيمان بالغيب وهذا دليل طهارة الباطن بالتوحيد الخالص لله رب العالمين والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ثانياً:إقامة الصلاة وهذا دليل على طهارة الظاهر بأداء فرائض الله رب العالمين والاستجابة لشرعه ومتابعة رسله.

ثالثاً:الإحسان إلى الخلق بالنفقة والجود والتحلي بصفات الكرام.

رابعاً: الإيمان بالقرآن الكريم الرسالة الخاتمة والإيمان بجميع الكتب المنزلة من السماء كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف والإيمان بأن القرآن خاتمها والمهيمن عليها والناسخ لها كما يؤمنون بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء.

خامساً: بينت الآيات ثوابهم فهؤلاء أهل الهداية والتوفيق في الدنيا وأهل السعادة والفوز بالمطلوب في الآخرة بدخول الجنة دار النعيم المقيم.

ب- بعض صفات أهل الكفر والعناد:

بعد بيان بعض صفات أهل الإيمان تنتقل سورة البقرة لبيان بعض

صفات القسم الثاني أهل الكفر والعناد فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦-٧].

ففي هذه الآيات بين الله تعالى بعض صفات الكافرين فالذين اتصفوا بالكفر وانصبغوا به وصار وصفاً لهم لازماً لا يردعهم عنه رادع ولا ينجح فيهم وعظ إنهم مستمرون على كفرهم فسواء عليهم يا رسول الله أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون فهؤلاء الكفار لا تفيدهم الدعوة إلا إقامة الحجة عليهم وكأن في هذا قطعاً لطمع الرسول ﷺ في إيمانهم وأنك لا تأس عليهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، ثم ذكر الموانع المانعة لهم من الإيمان فقال: {خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ} أي: طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان ولا ينفذ فيها فلا يعون ما ينفعهم ولا يسمعون ما يفيدهم وعلى أبصارهم غشاوة أي: غشاء وغطاء وأكنة تمنعها من النظر الذي ينفعهم وهذه طرق العلم والخير قد سدت عليهم فلا مطمع فيهم ولا خير يرجى عندهم وإنما منعوا ذلك وسدت عنهم أبواب الإيمان بسبب كفرهم وجحودهم

ومعاندتهم بعدما تبين لهم الحق ثم ذكر عقابهم الآجل بعد هذا العقاب العاجل فقال: «ولهم عذاب عظيم» وهو عذاب النار وسخط الجبار المستمر الدائم.

ج. بعض صفات أهل النفاق:

بعد أن تحدثت السورة عن بعض صفات أهل الإيمان في أربع آيات وذكرت ثوابهم في آية ثم انتقلت لبيان بعض صفات أهل الكفر والعناد في آيتين فقط ثم كان الإطناب والإسهاب عند الحديث عن بعض صفات الصنف الثالث وهم أهل النفاق في ثلاثة عشرة آية وذلك لعظيم خطرهم ولكثير شرهم.

ومن الملاحظ أن الحديث عن المنافقين في هذه الآيات التي في صدر سورة البقرة مر بثلاث مراحل على النحو التالي:

١) المرحلة الأولى: في تبيان حقيقة المنافقين في الآيات الآتية: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٠].

في هذه الآيات يوضح القرآن حقيقة المنافقين وأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فأكذبهم الله بقوله: «وما هم بمؤمنين» لأن الإيمان الحقيقي هو ما تواطأ عليه القلب واللسان وعمل الجوارح والأركان وإنما هذا مخادعة لله ولعباده المؤمنين والمخادعة:أن يظهر المخادع لمن يخادعه شيئاً ويبطن خلافه لكي يتمكن من مقصوده ممن يخادع، فهؤلاء المنافقون سلكوا مع الله وعباده هذا المسلك فعاد خداعهم على أنفسهم وهذا من العجائب لأن المخادع إما أن ينتج خداعه ويحصل له مقصوده أو يسلم لا له ولا عليه وهؤلاء عاد خداعهم وكأنهم يعملون ما يعملون من المكر لإهلاك أنفسهم وإضرارها وكيدها لأن الله تعالى لا يتضرر بخداعهم شيئاً وعباده المؤمنون لا يضرهم كيدهم شيئاً فلا يضر المؤمنين أن أظهر المنافقون الإيمان فسلمت بذلك أموالهم وحقنت دماؤهم وصار كيدهم في نحورهم وحصل لهم بذلك الخزي والفضيحة في الدنيا والحزن المستمر بسبب ما يحصل للمؤمنين من القوة والنصرة، ثم في الآخرة لهم العذاب الأليم والموجع المفجع بسبب كذبهم وكفرهم وفجورهم والحال أنهم من جهلهم وحماقتهم، لا يشعرون بذلك وقوله «في قلوبهم مرض» المراد بالمرض هنا: مرض الشك والشبهات والنفاق وذلك أن القلب

يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله، مرض الشبهات ومرض الشهوات المردية فالكفر والنفاق والشكوك والبدع كلها من مرض الشبهات، والزنا ومحبة الفواحش والمعاصي وفعلها من مرض الشهوات، كما قال تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وهو شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من هذين المرضين فحصل له اليقين والإيمان والصبر عن كل معصية فرفل في أثواب العافية، وفي قوله عن المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ﴾ بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين وأنه بسبب ذنوبهم السابقة يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها كما في قوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، فعقوبة المعصية المعصية بعدها كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها كما قال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

وبهذا عرفنا الله تعالى على حقيقة المنافقين وأنهم أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر وبين لنا أسباب نفاقهم وهو مرض القلوب وحرصهم على دنياهم وتبين لنا عاقبتهم في الدنيا وأن خداعهم يعود عليهم وكيدهم يرد إلى نحورهم وفي الآخرة العذاب الأليم الدائم المستمر.

ثم تنتقل بنا الآيات إلى المرحلة الثانية بذكر نماذج من أقوالهم

ومواقفهم.

٢. المرحلة الثانية: ذكر نماذج من أقوالهم ومواقفهم ليعرفوا بها:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ألا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ * اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١١-١٦].

بعد أن بيّن الله تعالى حقيقة المنافقين وأسباب نفاقهم ذكر لنا بعض أقوالهم وأعمالهم التي يعرفون بها ومنها:

إذا نُهي هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض وهو العمل بالكفر والمعاصي ومنها إظهار سرائر المؤمنين لعدوهم وموالاتهم للكافرين «قالوا إنما نحن مصلحون» فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض وإظهار أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح قلباً للحقائق وجمعاً بين فعل الباطل واعتقاده حقاً كحال الكثيرين ممن يسمون أنفسهم في واقعنا

المعاصر بالحداثيين وبالتنويريين وهم في الحقيقة رجعيون ظلاميون ممن يطعنون في الإسلام وحملته من أهل السنة بأنهم رجعيون أصوليون إرهابيون متشددون إلى غير ذلك من المسميات التي يطعنون بها أهل الحق فينسبون لأهل الحق الإفساد في الأرض وهم من ذلك براء ويزعمون أنهم أهل الإصلاح والحرص على مصالح البلاد وهذا هو منطق أهل النفاق الذين جمعوا بين الإفساد في الأرض والعمل بالكفر وإظهار أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح قلباً للحقائق وجمعاً بين فعل الباطل واعتقاده حقاً فعندهم الرقص والغناء والتبرج والسفور والخلاعة والاختلاط بين الرجال والنساء بلا ضوابط شرعية ودور البغي والبغاء وشرب الخمور هذا كله عندهم مدنيّة وحريّة ودليل على الرقي والأخذ بأسباب الحضارة والطعن في الأديان وتشويه العاملين بالحق عندهم من الحرية الفكرية أما بالنسبة للتمسك بالدين والعمل بأحكامه من حجاب المرأة المسلمة الذي هو دليل العفة والفضيلة والتمسك بالفضيلة عندهم رجعية وتخلف فإنا لله وإنا إليه راجعون أفهامهم فاسدة وقلوبهم مريضة جعلوا الحق باطلاً والباطل حقاً.

فهؤلاء المنافقون الذين نراهم وللأسف بكثرة في زماننا يتسمون بأسماء المسلمين وينتسبون لهذا الدين وتراهم يطعنون في الإسلام وأهله

فيرون الحق باطلاً والباطل حقاً ويطلقون على أنفسهم أسماء تعطيهم صفة المصلحين مثل دعاة الحداثة أو التقدمية.

أو دعاة التنوير وهم أذيال للعلمانيين قبحهم الله ونسأله تعالى أن يُطهّر الأرض منهم، هم حقاً أهل النفاق والمراوغة والمخادعة تراهم مع كل ناعق لهثاً وراء مصالحهم الدنيوية وشهواتهم الدنية يعملون بالإفساد في الأرض ويظهرون أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح قلباً للحقائق وجمعاً بين فعل الباطل واعتقاده حقاً وهؤلاء أعظم جناية ممن يعمل بالمعاصي مع اعتقاد تحريمها فهذا أقرب للسلامة وأرجب لرجوعه وتوبته وفي قولهم: «إنما نحن مصلحون» حصر للإصلاح في جانبهم وفي ضمنه أن المؤمنين ليسوا من أهل الإصلاح قلب الله عليهم دعواهم بقوله: «ألا إنهم هم المفسدون».

فإنه لا أعظم إفساداً في الأرض ممن كفر بآيات الله وصد عن سبيل الله وخادع الله وأولياءه ووالى المحاربين لله ورسوله وزعم مع هذا أن هذا إصلاح فهل بعد هذا الفساد فساد؟ ولكن لا يعلمون علماً ينفعهم وإن كانوا قد علموا بذلك علماً تقوم به عليهم حجة الله وإنما كان العمل في الأرض إفساداً لأنه سبب لفساد ما على الأرض من الحبوب والثمار والأشجار والنبات لما يحصل فيها من الآفات التي سببها المعاصي ولأنّ

الإصلاح في الأرض أن تعمر بطاعة الله والإيمان به لهذا خلق الله الخلق وأسكنهم الأرض وأدر عليهم الأرزاق ليستعينوا بها على طاعته وعبادته فإذا عمل فيها بضده كان سعياً فيها بالفساد وإخراباً لها عما خلقت له.

ومنها أنه إذا قيل للمنافقين «ءامنوا كما ءامن الناس» أي كإيمان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وهو الإيمان بالقلب واللسان والعمل بالجوارح والأركان قالوا بزعمهم الباطل: «أنؤمن كما آمن السفهاء» يعنون -قبحهم الله- الصحابة رضي الله عنهم لزعمهم أن سفههم أوجب لهم الإيمان وترك الأوطان ومعاداة الكفار وعبدة الأوثان والعقل عندهم يقتضى ضد ذلك فنسبوهم إلى السفه وفي ضمن ذلك أنهم هم العقلاء أرباب الحجي والنهى فرد الله ذلك عليهم، وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة لأن حقيقة السفه جهل الإنسان بمصالح نفسه وسعيه فيما يضرها، وهذه الصفة منطبقة عليهم كما أن العقل والحجى والنهى معرفة الإنسان بمصالح نفسه والسعي فيما ينفعه، وفي دفع ما يضره وهذه الصفة منطبقة على الصحابة والمؤمنين فالعبرة بالأوصاف والبرهان لا بالدعاوي المجردة والأقوال الفارغة.

ومن أقوالهم التي تدل على نفاقهم وخبث طويتهم، ما حكاه عنهم

القرآن في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾.

هذا من قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وذلك أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين أظهروا أنهم على طريقهم وأنهم معهم، فإذا خلوا إلى شياطينهم، أي كبرائهم ورؤسائهم بالشر قالوا: إنا معكم في الحقيقة وإنما نحن مستهزءون بالمؤمنين بإظهارنا لهم أنا على طريقهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة، ولا يحيق المكر السيئ إلى بأهله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وهذا جزاء لهم على استهزائهم بعباده فمن استهزائه بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والأحوال الخبيثة حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين، لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم، ومن استهزائه بهم يوم القيامة أن يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً، فإذا مشي المؤمنون بنورهم طفئ نور المنافقين وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين قال تعالى واصفاً حالهم يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ

وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٣-١٥].

فما أعظم اليأس بعد الطمع وقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي يزيدهم في فجورهم وكفرهم «يعمهون» أي حائرون مترددون وهذا من استهزائه تعالى بهم، ثم قال تعالى كاشفاً عن حقيقة أحوالهم ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ فقوله «أولئك» أي: المنافقون الموصوفون بتلك الصفات «الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى» أي: رغبوا في الضلالة، رغبة المشتري في السلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأموال والأنفس وهذا من أحسن الأمثلة فإن جعل الضلالة التي هي غاية الشر كالسلعة وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن فبذلوا الهدى رغبة عنه في الضلالة رغبة فيها فهذه تجارتهم فبئس التجارة وهذه صفقتهم فبئست الصفقة، وإذا كان من يبذل ديناراً في مقابلة درهم خاسراً فكيف من بذل جوهرة وأخذ عنها درهماً؟ «كيف من بذل الهدى في مقابل الضلالة واختار الشقاء على السعادة ورغب في سافل الأمور وترك عاليها؟!! فما ربحت تجارته بل خسر فيها أعظم خسارة وقوله «وما

كانوا مهتدين» تحقيق لضلالهم وأنهم لم يحصل لهم من الهداية شيء فهذه أوصافهم القبيحة ثم ضرب لهم مثلين ليعرفوا بهما.

٣- المرحلة الثالثة: فيها مثلان يبينان ويوضحان حال وشأن المنافقين:

يقول الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧-٢٠].

بعد أن بين الله تعالى حقيقة المنافقين وأعطانا نماذج من أقوالهم ومواقفهم يضرب لنا مثلين نعرف بهما حال المنافقين معرفة تامة:

المثل الأول:

قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٧-١٨] أي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه

«كمثل الذي استوقد ناراً» أي: كان في ظلمة عظيمة وحاجة شديدة فاستوقدها من غيره ولم تكن عنده معدة بل هي خارجة عنه فلما أضاءت النار ما حوله ونظر المحل الذي هو فيه وما فيه من المخاوف وأمنها، وانتفع بتلك النار وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك إذ ذهب الله بنوره فزال عنه النور وذهب معه السرور وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراق وبقي ما فيها من الإحراق فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب وظلمة المطر والظلمة الحاصلة بعد النور فكيف يكون حال هذا الموصوف، فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين ولم تكن صفة لهم فاستضاءوا بها مؤقتاً وانتفعوا فحقنت بذلك دماؤهم وسلمت أموالهم وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا فبينما هم كذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بالنور وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر وظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة المعاصي على اختلاف أنواعها وبعد ذلك ظلمة النار وبئس القرار فلهذا قال الله تعالى عنهم «صُم» أي: عن سماع الخير «بكم» أي: عن النطق به «عمي» أي: عن رؤية الحق «فهم لا يرجعون» لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه فلا يرجعون إليه بخلاف من ترك الحق عن جهل

وضلال فإنه لا يعقل وهو أقرب رجوعاً منهم.

المثل الثاني:

قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٩-٢٠].

هذا مثل آخر للمنافقين ضربه الله تعالى لكشف حقيقتهم وخبث طويتهم قال تعالى: «أو كصيب من السماء» أي: كصاحب صيب وهو المطر الذي يصوب أي ينزل بكثرة «فيه ظلمات» ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمات المطر، «ورعد» وهو الصوت الذي يسمع من السحاب «وبرق» وهو الضوء اللامع المشاهد من السحاب «كلما أضاء لهم مشوا فيه» أي: البرق في تلك الظلمات «وإذا أظلم عليهم قاموا» أي: وقفوا، فهكذا حالة المنافقين إذا سمعوا القرآن وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده جعلوا أصابعهم في آذانهم وأعرضوا عن أمره ونهيه ووعده ووعيده فيردعهم وعيده وتزعجهم وعوده فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم ويكرهونها كراهة صاحب الصيب الذي يسمع الرعد، فيجعل

أصابعه في أذنيه خشية الموت فهذا ربما حصلت له السلامة وأما المنافقون فأني لهم السلامة وهو تعالى محيط بهم قدرة وعلماً فلا يفوتونه ولا يعجزونه بل يحفظ عليهم أعمالهم ويجازيهم عليها أتم الجزاء ولما كانوا مبتلين بالصم والبكم والعمى المعنوي ومسدود عليهم طرق الإيمان قال تعالى: «ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم» أي الحسية ففيه تخويف لهم وتحذير من العقوبة الدنيوية ليحذروا فيرتدعوا عن بعض شرهم ونفاقهم «إنّ الله على كل شيء قدير» فلا يعجزه شيء ومن قدرته أنه إذا شاء شيئاً فعله من غير مانع ولا معارض وفي هذه الآية وما أشبهها رد على القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى، لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله «إن الله على كل شيء قدير» هذا أمر عام لجميع الناس فالله على كل شيء قدير إذا شاء شيئاً فعله من غير مانع ولا معارض فلا يعجزه شيء سبحانه جل وعلا.

ومن خلال تدبّر المثلين السابقين للمنافقين يتضح لنا أن هذا الحال نجده في عصرنا ومنطبقا على كثير من أبناء المسلمين، ممّن مرت عليهم فترات استغرقوا فيها بالعبادة والإسلام ثم انتظموا في سلك أهل الكفر والعناد ساخرين من حالهم الأول مزدادين كل يوم كفراً على كفر وقد دل المثل الأول على أن الإنسان الذي لا يرى الأشياء بنور الإيمان منافق

ومن لم تكن منطلقاته في الحكم على الأشياء مستمدة من الإسلام فإنه منافق لا يرى الأشياء بنور الله على ما هي عليه في الحقيقة وأما بالنسبة للمثل الثاني فقد ظهر جلياً في عصرنا فهناك بعض المسلمين بحكم النشأة أو البيئة وُجدوا في عصرنا الملئ بالشبه والدعوات الضالة ولم يتح لهم أن يسيروا في طريق الإيمان حتى يحققوه في قلوبهم فبقيت قلوبهم فيها إيمان ونفاق أوإيمان وكفر فتارة تأتيهم حجة من حجج الإسلام القوية فتضئ جوانب قلوبهم بالإيمان فيسيرون على زاد ذلك قليلاً ثم تحيط بهم شبهة من الشبهات فينطفئ النور في قلوبهم فيقفون حائرين وهم في هذه الحالة على غاية من الخوف من انكشاف أمرهم للمؤمنين أو سلطان الكافرين أو من عقوبة الله لهم على ما هم فيه، هذا حال الكثير من أبناء المسلمين اليوم إلا من عصم ربي ورحم لعل ما هم فيه يجعلنا نفهم المثل من خلال واقعهم.

الفصل الثاني
بعض أعمال المنافقين الكفرية

اعلم أخي أرشدك الله لما يحبه ويرضاه أن للمنافقين أعمالاً كفرية يستدل بها على ما يبطنون من النفاق، وقد بينها الله تعالى في كتابه كما في سورة التوبة التي تسمى «الفاضحة» لأن الله تعالى فضح فيها المنافقين ببيان أعمالهم الكفرية كما بينها أيضاً في سور أخرى كثيرة ومن هذه الأعمال:

١ - الاستهزاء بالله وبرسوله وبالقرآن:

هذا عمل كفري من أعمال المنافقين ما أقبحه لقول الله تعالى مخبراً عن هذا العمل الكفري من أعمال المنافقين: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٤-٦٦].

يقول العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - تعالى في

تفسيره الماتع الموسوم بـ«تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص٣٥٦- ٣٥٧) طبعة دار الحديث:

«كانت هذه السورة الكريمة تسمى «الفاضحة» لأنها بينت أسرار المنافقين وهتكت أستارهم، فما زال الله يقول: ومنهم ويذكر أوصافهم، إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين:

إحداهما: أن الله ستير يحب الستر على عباده.

الثانية: أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة فكان ذكر الوصف أعم وأنسب حتى خافوا غاية الخوف قال الله تعالى ﴿لئن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦١].

وقال هنا: «يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم» أي: تخبرهم وتفضحهم وتبين أسرارهم حتى تكون علانية لعباده ويكونوا عبرة للمعتبرين « قل استهزءوا» أي استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية «إن الله مخرج ما تحذرون» وقد وفى الله تعالى بوعده فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم وهتكت

أستارهم «ولئن سألتهم» عما قالوه من الطعن في المسلمين وفي دينهم يقول طائفة منهم في غزوة تبوك: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء يعنون النبي ﷺ وأصحابه أرغب بطوناً وأكذب ألسناً وأجبن عند اللقاء» ونحو ذلك ولما بلغهم أن النبي ﷺ قد علم بكلامهم جاءوا يعتذرون إليه ويقولون: «إنما كنا نخوض ونلعب» أي: نتكلم بكلام لا قصد لنا به ولا قصدنا الطعن والعيب قال الله تعالى، مبيناً عدم عذرهم وكذبهم في ذلك «قل» لهم «أبالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم» فإن الاستهزاء بالله ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة ولهذا لما جاءوا إلى رسول الله ﷺ يعتذرون بهذه المقالة والرسول ﷺ لا يزيدهم على قوله: «أبالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزءون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم» وقوله «إن نعف عن طائفة منكم» لتوبتهم واستغفارهم وندمهم «نعذب طائفة» منكم «بأنهم» أي: بسبب أنهم «كانوا مجرمين» مقيمين على كفرهم ونفاقهم وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة خصوصاً السريرة التي يمكر فيها بدينه ويستهزئ به وبآياته ورسوله فإن الله تعالى يظهرها ويفضح صاحبها ويعاقبه أشد العقوبة

وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الثابتة عنه أو سخر بذلك أو تنقصه أو استهزأ بالرسول ﷺ أو تنقصه فإنه كافر بالله العظيم وأن التوبة مقبولة من كل ذنب وإن كان عظيماً».

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ [البقرة: ١٤] وقد سبق شرح هذه الآية في الفصل الأول أثناء الحديث عن بعض أقوال المنافقين وأحوالهم فليراجع.

٢. سب الله تعالى أو سب رسوله ﷺ أو تكذيبهما:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

يقول العلامة السعدي رحمه الله تعالى: أي: ومن هؤلاء المنافقين من يعيبك في قسمة الصدقات وينتقد عليك فيها وليس انتقادهم فيها وعيبهم لقصد صحيح ولا لرأي رجيح وإنما مقصودهم أن يعطوا منها ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨] وهذه حالة لا ينبغي للعبد أن يكون رضاه وغضبه تابعاً لهوى نفسه الدنيوي وغرضه الفاسد، بل الذي ينبغي أن يكون لمرضاة ربه كما قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**».

وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين رحمه الله تعالى أي: ومن المنافقين من يعيبك من تفريق الصدقات فيتهمونك بعدم العدل وأصل اللمز: الإشارة بالعين ونحوها.

٣- الإعراض عن دين الإسلام وصد الناس عنه:

من أعمال المنافقين الكفرية الإعراض عن دين الله تعالى وعيبه وصد الناس عنه وعدم التحاكم إليه والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾.

يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى -: وقوله: « يصدون عنك صدوداً » أي: يعرضون عنك إعراضاً كالمتكبرين عن ذلك كما قال تعالى عن المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [لقمان: ٦١] هؤلاء وهؤلاء بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٢١].

وإذا نظرنا إلى واقع الأمة اليوم لرأينا الكثيرين من هؤلاء المنافقين

وإن انتسبوا إلى الإسلام بزعمهم يحاربون الحق ويصدون عن سبيل الله فيزعمون كذباً وزوراً أن الشريعة لا مجال لتطبيقها في هذا الزمان فهي لا تتلائم مع العصر ولا تتوافق مع أحوال الناس وبعضهم يصف الحدود بالوحشية وهذا الكلام لاشك مخرج عن ملة الإسلام لأن من رأي أن حكم غير الله مساوٍ لحكم الله فقد خرج عن ملة الإسلام.

فما بالك بمن يرى أن حكم غير الله كالقوانين الوضعية التي وضعها البشر هي أحسن من حكم الله رب العالمين؟! إنه الكفر بعينه الذي زينه العلمانيون في هذا الزمان لكثير من أذيالهم وأتباعهم الذين يرددون كلامهم ويستحسونه ويخوفون الناس من الإسلام فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٤- التحاكم إلى الكفار وتفضيل أحكامهم على حكم الله تعالى:

من أعمال المنافقين الكفرية التحاكم إلى الكفار وتفضيل أحكامهم الوضعية على حكم الله تعالى والدليل قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن

يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية: روى يزيد بن زريع عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فدعا اليهودي المنافق إلى النبي ﷺ لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة ودعا المنافق اليهودي إلى حكامهم لأنه علم أنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم فلما اجتمعا على أن يحكما كاهناً من جهينة فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافق ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني اليهودي ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ إلى قوله ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.

وقال الضحاك: دعا اليهودي المنافق إلى النبي ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف وهو الطاغوت.

و رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين رجل من المنافقين يقال له بشر وبين يهودي خصومة فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد ﷺ وقال المنافق: بل إلى كعب بن الأشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت أي ذو الطغيان فأبى اليهودي أن يخاصمه إلاّ إلى رسول الله ﷺ فلما رأى ذلك المنافق أتى معه إلى رسول الله ﷺ

فقضى لليهودي فلما خرجا قال المنافق: لا أرضى انطلق بنا إلى أبي بكر فحكم لليهودي فلم يرضى ذكره الزجاج وقال: انطلق بنا إلى عمر فأقبل على عمر فقال اليهودي: إنا صرنا إلى رسول الله ﷺ ثم إلى أبي بكر فلم يرض فقال عمر للمنافق: أكذلك هو؟ قال: نعم قال: رويدكما حتى أخرج إليكما فدخل وأخذ السيف ثم ضرب به المنافق حتى برد وقال: هكذا أقضي على من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودي ونزلت الآية، وقال رسول الله ﷺ: أنت الفاروق ونزل جبريل عليه السلام وقال: إن عمر فرَّق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وفي ذلك نزلت الآيات كلها إلى قوله: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[1].

فهذه أخوتاه علامة من علامات النفاق وعمل كفري من أعمال المنافقين الكفر بشريعة الله تعالى وعدم الرضا بقضاء الله وبقضاء رسوله ﷺ بل تفضيل أحكام الطواغيت على حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ عياذا بك اللهم من الخذلان.

---

(١) راجع تفسير الإمام القرطبي لسورة النساء آية: ٦٠ وما بعدها

٥- اعتقاد صحة المذاهب الهدامة والدعوة إليها مع معرفة حقيقتها:

يقول الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين في تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية عند الحديث عن أعمال المنافقين الكفرية ومنها: اعتقاد صحة المذاهب الهدامة والدعوة إليها مع معرفة حقيقتها ومن هذه المذاهب ما جد في هذا العصر من مذاهب هي في حقيقتها حرب للإسلام ودعوة للاجتماع على غير هديه كالقومية والوطنية فكثير من المنافقين في هذا العصر ممن يسمون «علمانيين» أو «حداثيين» أو «قوميين» يعرفون حقيقة هذه المذاهب ويدعون إلى الاجتماع على هذه الروابط الجاهلية ويدعون إلى نبذ رابطة الإيمان والإسلام التي ذكرها ربنا جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1].

(١) سورة الحجرات: ١٠ راجع تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية ص: ١٠٥

٦- مناصرة الكفار ومعاونتهم على المسلمين:

فمن أعمال المنافقين الكفرية مناصرة الكفار ومعاونتهم على المسلمين لأن المنافقين في حقيقتهم كفار فهم يناصرون إخوتهم من الكفار على المسلمين فمن ناصر الكفار على المسلمين فهذه الموالاة ردة عن الإسلام لقوله - تعالى -: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآيات: يرشد تعالى عباده المؤمنين حين بيّن لهم أحوال اليهود والنصارى وصفاتهم غير الحسنة أن لا يتخذوهم أولياء فإنهم هم الأعداء على الحقيقة ولا يبالون بضركم بل لا يدخرون من

مجهودهم شيئاً على إضلالكم. فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم ولهذا قال: «ومن يتولهم منكم فإنه منهم» لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم والتولي القليل يدعو إلى الكثير ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يكون العبد منهم «إن الله لا يهدي القوم الظالمين» أي: الذين وصْفُهم الظلم وإليه يرجعون وعليه يعولون فلو جئتهم بكل آية ما تبعوك ولا انقادوا لك، ولما نهى الله المؤمنين عن توليهم أخبر أن ممن يدعي الإيمان طائفة تواليهم فقال: «فترى الذين في قلوبهم مرض» أي: شك ونفاق وضعف إيمان يقولون: إن توليناهم للحاجة فإننا «نخشى أن تصيبنا دائرة» أي: تكون الدائرة لليهود والنصارى فإذن كانت الدائرة لهم فإذًا تكون لنا عندهم يد يكافئوننا عنها وهذا سوء ظن منهم بالإسلام قال تعالى نافياً لظنهم السيء «فعسى الله أن يأتي بالفتح» الذي يعز الله به الإسلام على اليهود والنصارى ويقهرهم المسلمون «أو أمر من عنده» ييأس به المنافقون من ظفر الكافرين من اليهود وغيرهم «فيصبحوا على ما أسروا» أي: أضمروا « في أنفسهم نادمين» على ما كان منهم وضرهم بلا نفع حصل لهم، فحصل الفتح الذي نصر الله به الإسلام والمسلمين وأذل به الكفر والكافرين فندموا وحصل لهم من الغم ما الله به

عليم[1].

فمن تولى الكافرين ورضي عن دينهم وابتعد عن المسلمين وعابهم فهو كافر عدو لله ولرسله ولعباده المؤمنين.

٧- إظهار الفرح والاستبشار عند انتصار الكفار:

قال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين حفظه الله تعالى عندما تحدث عن أعمال المنافقين الكفرية ومنها: إظهار الفرح والاستبشار عند انتصار الكفار، وعندما يصيب المسلمين هزيمة أو أي ضرر.

قال الله تعالى: ﴿هَاأَنتُمْ أُولاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٩-١٢٠].

ولهذا تجد منهم في هذا العصر من لا يكترث لمصاب المسلمين في

(١) راجع تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٣١-٢٣٢ ط. دار الحديث.

أي مكان بل قد تسمع منهم أو تقرأ كلاماً لبعضهم في الصحف أو المجلات ينهي عن مساعدة المسلمين في أي مكان وعن الوقوف معهم في مصائبهم بحجة أنهم ليسوا عرباً أو ليسوا مواطنين مثلاً فيدعون إلى التحزب على أساس القومية والوطنية ولا يرفعون رأساً لرابطة الإسلام بل يحاربونها [1]

وهؤلاء ضررهم على المسلمين أشد لأنهم يندسون بين المسلمين ويظهرون أنهم منهم ويحاربون الإسلام وأهله.

٨- الطعن في العلماء والمصلحين وجميع المؤمنين الصادقين:

من أعمال المنافقين الكفرية سب العلماء العاملين والانتقاص من قدرهم وعيب المصلحين وجميع المؤمنين بغضاً لمنهجهم ولدعوتهم.

قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

(١) تهذيب تيسير العقيدة الإسلامية ص١٠٦ مكتبة مكة.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي: إذا قيل للمنافقين: «آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ» أي: كإيمان الصحابة رضي الله عنهم وهو الإيمان بالقلب واللسان والعمل بالجوارح والأركان قالوا بزعمهم الباطل «أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء» يعنون – قبحهم الله – الصحابة رضي الله عنهم لزعمهم أن سفههم أوجب لهم الإيمان وترك الأوطان ومعاداة الكفار والعقل عندهم يقتضي ضد ذلك فنسبوهم إلى السفه ومن ضمن ذلك أنهم هم العقلاء أرباب الحجي والنهى فرد الله ذلك عليهم وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة لأن حقيقة السفه جهل الإنسان بمصالح نفسه وسعيه فيما يضرها وهذه الصفة منطبقة عليهم كما أن العقل والحجي معرفة الإنسان بمصالح نفسه والسعي فيما ينفعه وفي دفع ما يضره وهذه الصفة منطبقة على الصحابة والمؤمنين فالعبرة بالأوصاف والبرهان لا بالدعاوي المجردة والأقوال الفارغة[1].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٥-٢٦

مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩] من صفات أهل النفاق سب الصالحين والانتقاص من قدرهم فعندما حث الله ورسوله ﷺ على الصدقة بادر المسلمون إلى ذلك وبذلوا من أموالهم كل على حسب حاله، منهم المكثر ومنهم المقل، فكان المنافقون يلمزونهم يلمزون المكثر منهم بأن قصده بنفقته الرياء والسمعة وقالوا للمقل الفقير: إن الله غني عن صدقة هذا فأنزل الله تعالى: «الذين يلمزون» أي: يعيبون ويطعنون المطوعين من المؤمنين في الصدقات فيقولون: مراءون قصدهم الفخر والرياء (و) يلمزون «الذين لا يجدون إلا جهدهم» فيخرجون ما استطاعوا ويقولون الله غنى عن صدقاتهم «فيسخرون منهم» فقوبلوا على صنيعهم بأن «سخر الله منهم ولهم عذاب أليم» فإنهم جمعوا في كلامهم هذا بين عدة محاذير كما يقول العلامة السعدي رحمه الله تعالى منها: تتبعهم لأحوال المؤمنين وحرصهم على أن يجدوا مقالاً يقولونه فيهم والله تعالى يقول: «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم» ومنها: طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم كفراً بالله تعالى وبغضا للدين، ومنها: أن اللمز محرّم بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا وأما اللمز في أمر الطاعة فأقبح وأقبح ومنها: أن من أطاع

الله وتطوع بخصلة من خصال الخير فإن الذي ينبغي هو إعانته وتنشيطه على عمله وهؤلاء قصدوا تثبيطهم بما قالوا فيهم وعابوهم عليه ومنها: أن حكمهم على من أنفق مالاً كثيراً بأنه مراء غلط فاحش وحكم على الغيب ورجم بالظن وأي شر أكبر من هذا؟

ومنها: أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة «الله غنى عن صدقة هذا» كلام مقصوده باطل فإن الله غني عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير بل وغنى عن أهل السموات والأرض لكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه فالله تعالى إن كان غنياً عنهم فهم فقراء إليه.

قال تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره».

و في هذا القول من المنافقين من التثبيط عن الخير ماهو ظاهر بيِّن ولهذا كان جزاؤهم أن يسخر الله منهم ولهم عذاب أليم ولهذا تجد منهم في هذا العصر من يعيب الصحابة رضي الله عنهم ويسبهم ومن يعيب العلماء العاملين والدعاة المخلصين والمؤمنين المصلحين ومن يعيب المجاهدين الصادقين في وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية قبّحهم الله وجعلهم عبرة وآية اللهم آمين.

٩- مدح أهل الكفر ومدح مفكريهم ونشر آرائهم المخالفة للإسلام:

من صفات المنافقين وأعمالهم الكفرية مدح أهل الكفر والعناد من اليهود والنصارى ومدح مفكريهم ونشر آرائهم المخالفة للإسلام.

قال الله تعالى عنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٤-١٩].

يقول العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات: يخبر تعالى عن شناعة حال المنافقين الذين يتولون

الكافرين من اليهود والنصارى وغيرهم ممّن غضب الله عليهم ونالوا من لعنة الله أوفى نصيب وأنهم ليسوا من المؤمنين ولا من الكافرين «مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء» فليسوا مؤمنين ظاهراً ولا باطناً لأن باطنهم مع الكفار، ولا مع الكفار ظاهراً ولا باطناً لأن ظاهرهم مع المؤمنين وهذا وصفهم الذي نعتهم الله به والحال أنهم يحلفون على الذي هو الكذب فيحلفون أنهم مؤمنون والحال أنهم ليسوا مؤمنين فجزاء هؤلاء الخونة الفجرة الكذبة أن الله أعد لهم عذاباً شديداً لا يقادر قدره ولا يعلم وصفه وإنهم ساء ما كانوا يعملون حيث عملوا بما يسخط الله ويوجب لهم العقوبة واللعنة و«اتخذوا أيمانهم جنة» أي: ترساً ووقاية يتقون بها من لوم الله ورسوله والمؤمنين فبسبب ذلك صدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله وهو الصراط الذي من سلكه أفضى به إلى جنات النعيم ومن صد عنه فليس إلا الصراط الموصل إلى الجحيم «فلهم عذاب مهين» حيث إنهم لما استكبروا عن الإيمان بالله والانقياد لآياته أهانهم بالعذاب السرمدي الذي لا يفتر عنهم ساعة ولا هم ينظرون «لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً» أي: لا تدفع عنهم شيئاً من العذاب ولا تُحصِل لهم قسطاً من الثواب «أولئك أصحاب النار» الملازمون لها، الذين لا يخرجون عنها «هم فيها

خالدون» ومن عاش على شيء مات عليه فكما أن المنافقين في الدنيا يموهون على المؤمنين ويحلفون لهم أنهم مؤمنون فإذا كان يوم القيامة وبعثهم الله جميعاً حلفوا لله كما حلفوا للمؤمنين ويحسبون من حلفهم هذا أنهم على شيء لأن كفرهم ونفاقهم وعقائدهم الباطلة لم تزل ترسخ في أذهانهم شيئاً فشيئاً حتى غرتهم وظنوا أنهم على شيء يعتد به ويعلق عليه الثواب، وهم كاذبون في ذلك ومن المعلوم أن الكذب لا يروج على عالم الغيب والشهادة، وهذا الذي جرى عليهم من استحواذ الشيطان الذي استولى عليهم وزين لهم أعمالهم وأنساهم ذكر الله وهو العدو المبين الذي لا يريد بهم إلا الشر إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين خسروا دينهم ودنياهم وأهليهم[1].

ولهذا تجد منهم في هذا العصر من يمدح الملاحدة أمثال «أبي العلاء المعري» و«الحلاج» و« فرويد» وينشر آراءهم وينتصر لها بكل ما أوتي من قوة قبحهم الله تعالى اللهم آمين.

---

(١) سورة المجادلة: ١٩ تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٩٤٢-٩٤٣.

الفصل الثالث
صفات أهل النفاق والتلون

اعلم أخي رحمني الله وإياك أن للمنافقين صفات كثيرة متعددة يعرفون بها ذكرها ربنا عزّ وجل في كتابه الكريم وذكر بعضها النبي الأمين ﷺ في سنته المطهرة

ومن أبرز هذه الصفات:

١. قلة الطاعات والتثاقل والكسل عن أداء العبادات والواجبات:

ما أقبح هذه الصفة! صفة الكسل والتثاقل عن أداء الفرائض والواجبات وعدم الاكتراث بالطاعات.

يقول الله تعالى عنهم: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: قد تقدم في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٩] وقال ها هنا: «إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم» ولا شك أن الله تعالى لا يخادع فإنه العالم بالسرائر والضمائر، ولكن المنافقين لجهلهم

وقلة علمهم وعقلهم يعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهراً، فكذلك يكون حكمهم يوم القيامة عند الله، وأن أمرهم يروج عنده كما أخبر عنهم تعالى أنهم يوم القيامة يحلفون له: أنهم كانوا على الاستقامة والسداد ويعتقدون أن ذلك نافع لهم عنده فقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]، وقوله: «هو خادعهم» أي: هو الذي يستدرجهم من طغيانهم وضلالهم

ويخذلهم عن الحق والوصول إليه في الدنيا وكذلك في يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٣-١٤].

وقوله: ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة. إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية ولا يعقلون معناها كما روى ابن مردويه من طريق عبيد الله بن زهير عن خالد بن أبي عمران عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان ولكن يقوم إليها طلق الوجه عظيم الرغبة شديد الفرح فإنه يناجي الله تعالى وإن الله أمامه يغفر له ويجيبه إذا دعاه ثم يتلو ابن عباس هذه الآية: ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاةِ قَامُواْ كُسَالَى﴾ وروي من غير هذا الوجه عن ابن عباس- رضي الله عنهما. بنحوه. فقوله تعالى:﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاةِ قَامُواْ كُسَالَى﴾ هذه صفة ظواهرهم كما قال:﴿ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤] ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة فقال: « يراؤون الناس» أي لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله بل إنما يشهدون الصلاة تقية من الناس ومصانعة لهم ولهذا يتخلفون كثيراً عن الصلاة التي لا يرون غالباً فيها كصلاة العشاء وقت العتمة وصلاة الصبح في وقت الغلس كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «أثقل

الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»[(١)].

وفي رواية: «والذي نفسي بيده لو علم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد الصلاة ولولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقت عليهم بيوتهم بالنار»[(٢)].

وقال الحافظ أبو يعلي. حدثنا محمد-هو ابن أبي بكر المقدمي حدثنا محمد بن دينار عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « من أحسن الصلاة حيث يراه الناسُ وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عزّ وجلّ ».

وقوله:﴿ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ أي: في صلاتهم لا يخشعون فيها ولا يدرون ما يقولون بل هم في صلاتهم ساهون لاهون

---

(١) رواه البخاري:٦٥٧١ الأذان ومسلم (٦٥١)(٢٥٢) المساجد.

(٢) البخاري ٢/ ١٤٨: رقم:٦٤٤ كتاب الأذان باب وجوب صلاة الجماعة ومعنى مرماة: ما بين ظلف الشاة من اللحم والمقصود وجدوا غرضاً من الدنيا لشهدوا الصلاة.

وعما يراد بهم من الخير معرضون.

وقد روى الإمام مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: قال رسول الله ﷺ: «**تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً**» وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح. (أ.هـ).

٢- الجُبن وشدّة الخوف والهلع:

من صفات المنافقين الجبن وشدة الخوف والهلع وهذه الصفة من أهم الأسباب التي جعلتهم يخفون كفرهم ويظهرون الإسلام لأنهم يخافون من القتل ومن أن تسلب أموالهم لكفرهم وليس عندهم شجاعة فيقاتلون مع الكفار فيلجأون إلى النّفاق.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقين: ٤].

يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ أي: كانوا

أشكالاً حسنة وذوي فصاحة وألسنة إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم وهم مع ذلك في غاية الضعف والخوف والهلع والجزع والجبن ولهذا قال: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم كما قال تعالى:﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩]. فهم جهامات وصور بلا معاني ولهذا يقول: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الهدي إلى الضلال.

قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى -: حدثنا يزيد حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحي عن إسحاق بن بكر بن أبي الفرات عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: « إن للمنافقين علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هجراً ولا يأتون الصلاة إلا دبرا مستكبرين لا يألفون لا يؤلفون خُشب بالليل صخب بالنهار»

وقال يزيد مرة: سخب بالنهار[١] أ-هـ.

وقال الله تعالى عنهم: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٦-٥٧].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآيات: « يخبر الله تعالى نبيه ﷺ عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم أنهم ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ يميناً مؤكدة ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ أي: في نفس الأمر ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ أي: فهو الذي حملهم على الحلف ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً ﴾ أي: حصناً يتحصنون به، وحرزاً يحترزون به ﴿ أَوْ مَغَارَاتٍ ﴾ وهي التي في الجبال ﴿ أَوْ مُدَّخَلاً ﴾ وهو السرب في الأرض والنفق، قال ذلك في الثلاثة ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد وقتادة. ﴿لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي: يسرعون في ذهابهم عنكم لأنهم إنما يخالطونكم كرهاً لا محبة وودوا أنهم لا يخالطونكم ولكن للضرورة أحكام ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم لأن الإسلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة فهذا كلما سر المؤمنون ساءهم ذلك

---

(١) راجع تفسير الحافظ ابن كثير سورة المنافقون آية:٤.

فهم يودون ألا يخالطوا المؤمنين ولهذا قال:﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[1].

٣- السَّفه وضعف التفكير وقلة العقل والغباء:

من صفات المنافقين الغباء وضعف التفكير ومن غبائهم إيثارهم للدنيا الفانية على الآخرة الباقية ومنه بغضهم للدين الحق بسبب مجالستهم للكفار والمشركين والعلمانيين الذين يثيرون الشبه ضد الإسلام وأهله فأثر ذلك على ضعاف النفوس من أهل التلوّن لانبهارهم بما عند القوم من حضارة مادية فصاروا لغبائهم وضعف عقلهم حرباً على الإسلام وأهله ووقع في قلوبهم بغض هذا الدين والعاملين له وأصبحوا يدعون إلى التشبه بالكفار وتقليدهم وتحكيم قوانينهم وهذا منتهى الغباء والسفه فتلاعب بهم الشيطان حتى أوقعهم فيما هو سبب لهلاكهم وعذابهم.

قال الله تعالى موضحاً سفه القوم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

---

(١) راجع تفسير الحافظ ابن كثير سورة التوبة آية: ٥٦-٥٧.

يقول العلامة السعدى -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية: أي: إذا قيل للمنافقين: ﴿آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ أي: كإيمان الصحابة -رضي الله عنهم- وهو الإيمان بالقلب واللسان ولم يذكر العلامة السعدى -رحمه الله- العمل في تعريف الإيمان في هذا الموضع وقد ذكره في مواضع أخرى لعل السبب النسيان والله أعلم لأن الإيمان عند أهل السنة قول وعمل والعمل يدخل في مسمى الإيمان فإيمان الصحابة- رضي الله عنهم- بالقلب واللسان والعمل بالجوارح والأركان إذا قيل لهم ذلك قالوا بزعمهم الباطل: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء﴾ يعنون قبحهم الله- الصحابة -رضي الله عنهم- لزعمهم أن سفههم أوجب لهم الإيمان، وترك الأوطان، ومعاداة الكفار. والعقل عندهم يقتضى ضد ذلك فنسبوهم إلى السفه، ومن ضمن ذلك أنهم هم العقلاء أرباب الحجى والنهي فرد الله ذلك عليهم وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة، لأن حقيقة السفه جهل الإنسان بمصالح نفسه، وسعيه فيما يضرها، وهذه الصفة منطبقة عليهم، كما أنّ العقل والحجى معرفة الإنسان بمصالح نفسه والسعي فيما ينفعه وفي

دفع ما يضره، وهذه الصفة منطبقة على الصحابة والمؤمنين فالعبرة بالأوصاف والبرهان لا بالدعاوى المجردة والأقوال الفارغة »[١].

وما أكثر أصحاب الدعاوى المجردة والأقوال الفارغة في واقعنا المعاصر من قوافل الليبرالية والعلمانية الذين يشوهون صورة الإسلام ويثيرون الشبه أمام ثوابته ويطعنون في حملته ودعاته وللأسف الكثيرون منهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا فتارة يصفون الإسلام بأنه دين الإرهاب والدموية وتارة يصفونه بالرجعية وتارة يزعمون أن أحكامه لا تصلح لهذا الزمان ويصفون حملته ودعاته بضيق الأفق وعدم الفهم والأصولية والرجعية والإرهاب وهلُمّ جراً من الألفاظ والألقاب التي تنم عن خبث القوم وغبائهم وضعف عقولهم وهؤلاء يحاربون شرع ربهم ويخادعون خالقهم الذي يعلم سرهم وعلانيتهم ولا يدرون أن العاقبة وخيمة وأنهم غداً في قبورهم وحشرهم في قبضة ملائكة القوى العزيز وأن أمامهم أهوال عظام وجسام فهم معذبون في قبورهم- إن لم يتوبوا قبل موتهم- ومعذبون في النار إن ماتوا على نفاقهم نسأل الله العافية.

---

(١) تفسير الكريم الرحمن عن تفسير كلام المنان للعلامة السعدي ص: ٢٥٢

لذا قال الله تعالى عنهم: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

٤ - التذبذب والمراوغة والتلوُّن:

حَّذر الإسلام من المراوغة والتلوُّن والتذبذب لأنها صفة من صفات المنافقين.

- فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «تجدون الناس معادن: خِيارُهُم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقهوا، وتجدون خيار الناس في هذا الشأن أشدَّهم له كراهيةً وتجدون شرَّ الناس ذا الوجهيّن الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ»[١].

- وعن محمد بن زيد: أنَ ناساً قالوا لجدِّه عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلمُ إذا خرجنا من عندهم. قال: كُنَّا نَعُدُّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ[٢].

فمن صفات المنافقين المراوغة والتذبذب والتلُّون فهم كالحرباء

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

التي يتغير لونها بحسب حرارة الشمس فأول النهار لها لون، ووسط النهار لها لون وآخر النهار لها لون وقد رأينا هؤلاء في ظلّ هذه النوازل التي تتعرض لها الأمة المسلمة الآن وبعد سقوط عروش بعض الظالمين والطغاة من الحكام، كان هؤلاء من قبل يسبحون بحمد الطغاة من الحكام المستبدين في وسائل الإعلام المختلفة وما أن سقطوا إلا وانقلبوا كالحرباء يطعنون ويسبون وهذا دأبهم التلوّن والمراوغة لهثاً وراء المصلحة والمنفعة الدنيوية الزائلة وينسون الآخرة الباقية.

قال تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

يقول العلامة السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية: «هذا من قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وذلك أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم، فإذا خلوا إلى شياطينهم - أي كبرائهم ورؤسائهم بالشر- قالوا: إنا معكم في الحقيقة، وإنما نحن مستهزءون بالمؤمنين بإظهارنا لهم أنا على طريقتهم فهذه حالهم الباطنة والظاهرة ولا يحيق المكر السيء إلاّ بأهله»[1].

فترى اليوم هذا الصنف من المتلونين بعد النوازل التي نعيشها في

---

(١) تفسير السعدي ﷺ ص:٢٦ ط. دار الحديث القاهرة.

بلاد كثيرة يمدحون الدعاة إلى الله تعالى بعد أن كانوا بالأمس يحذرون الناس منهم بل وفتحت أمامهم وسائل الإعلام الرسمية التي كانت محظورة عليهم من قبل، فصاحب اللحية والقميص لا يظهر أبداً على قناة رسمية إلا إن كان مداهناً يروج لبدعة من بدعهم أو ضلالة من ضلالاتهم أما أهل الصدق والحق فلا سبيل لسماع صوتهم عبر تلك الوسائل التي سيطر عليها المتلونون من العلمانيين والليبراليين وبعد سقوط أنظمة الحكم الغاشمة سارع هؤلاء المتلونون إلى استضافة العلماء والدعاة عندما عِلمُوا أنّ الجولة للإسلام وللصالحين من الدعاة فهرولوا خلف الدعاة الذين كانوا بالأمس يحذرون الناس منهم ويصفونهم بالرجعية والجمود وإثارة الفتن ونشر العنف فإنا لله وإنا إليه راجعون.

- وقال جل وعلا في شأنهم: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤٣] يقول العلامة السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية: أي: مترددين بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين ، فلا من المؤمنين ظاهراً وباطناً ولا من الكافرين ظاهراً وباطناً- وأعطوا باطنهم للكافرين وظاهرهم للمؤمنين وهذا أعظم ضلال يقدر ولهذا قال: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن

تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ أي: لن تجد طريقاً لهدايته ولا وسيلة لترك غوايته لأنه انغلق عنه باب الرحمة وصار بدله كل نقمة فهذه الأوصاف المذمومة تدل بتنبيهها على أن المؤمنين متصفون بضدها من الصدق والإخلاص، ظاهراً وباطناً وأنهم لا يجهل ما عندهم من النشاط في صلاتهم وعباداتهم وكثرة ذكرهم لله تعالى، وأنهم قد هداهم الله تعالى ووفقهم للصراط المستقيم فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين وليختر أيهما أولى به والله المتسعان[1].

٥- من صفاتهم: الانهزامية واحتقار الذات والشعور بالنقص أمام الأعداء؛

يقول الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين[2] -حفظه الله-: «من صفات المنافقين الانهزامية واحتقار الذات والشعور بالنقص أمام الأعداء فهو- أي المنافق- يشعر أن عموم الكفار أفضل منه ومن بني جنسه وبالأخص في هذا الزمن الذي تفوق فيه الكفار في النواحي

---

(١) تفسير العلامة السعدي سورة النساء آية:١٤٣، ص:٢٠٤ ط. دار الحديث.

(٢) الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين الأستاذ بكلية المعلمين بمدينة الرياض راجع كلامه في كتابه تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية" ص:١١١ مكتبة عكة.

المادية ولذلك فهو يقلدهم في جميع الأمور حتى في الأمور التي لا فائدة منها، بل إنه يقلدهم في أمور يعلم هو ضررها فهو كالبعير المقطور- أي المربوط- رأسه في ذنب بعير آخر، فيسير خلفه ويطأ على ما يطأ عليه، ويبول على رأسه، وهذا منتهى الضلال والضياع والخسران». أ.هـ كلامه حفظه الله.

فهذه صفة ذميمة تشعر بالانكسار والهزيمة النفسية من تلك النفوس العفنة التي تنكرت لقيمها وأخلاقها ورضيت أن تكون تابعة للأراذل ومقلدة كالقرود نسأل الله السلامة.

٦- من صفاتهم: قلة الحياء وسلاطة اللسان؛

من المعلوم أنّ صاحب العقيدة الصحيحة يتصف بالخلق الكريم فلسانه رطب بذكر الله وعمله صالح يتقرب به إلى الله ابتغاء مرضات الله تعالى فإذا انحرفت العقيدة نتج عن انحرافها سوء الخلق فالمنافق لفساد عقيدته وكفره بالله تعالى يتصف بسوء الأخلاق من قلة الحياء وسلاطة اللسان..

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا

جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٨-١٩].

يقول العلامة السعدي- رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآيات: توعَّد تعالى المُخذِّلين المعوقين وتهددهم فقال: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ عن الخروج لمن لم يخرجوا ﴿وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ ﴾ الذين خرجوا ﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ أي: ارجعوا كما تقدم من قولهم ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾وهم من تعويقهم وتخذلهم {وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ} أي: القتال والجهاد بأنفسهم ﴿ إِلاَّ قَلِيلا﴾ فهم أشد الناس حرصاً على التخلف لعدم الداعي لذلك من الإيمان والصبر ولوجود المقتضى للجبن من النفاق وعدم الإيمان ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ بأبدانهم عند القتال وبأموالهم عند النفقة فيه فلا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ﴾ أي: نظر المغشي عليه ﴿ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ من شدة الجبن الذي خلع قلوبهم والقلق الذي أذهلهم وخوفاً من إجبارهم على ما يكرهون

من القتال﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾وصاروا في حال الأمن والطمأنينة ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾أي: خاطبوكم وتكلموا معكم بكلام حديد ودعاوى غير صحيحة وحين تسمعهم تظنهم أهل الشجاعة والإقدام ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾الذي يراد منهم وهذا شر ما في الإنسان أن يكون شحيحاً بما أمر به شحيحاً بماله أن ينفقه في وجهه شحيحاً في بدنه أن يجاهد أعداء الله أو يدعو إلى سبيل الله، شحيحاً بجاهه شحيحاً بعلمه ونصيحته ورأيه ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين بتلك الحالة﴿ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾بسبب عدم إيمانهم ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾[1].

فبئس هذه الصفات التي اتصفوا بها من قلة الحياء وسلاطة اللسان والجبن والانهزامية والتلون والسفه وما اجتمعت هذه الصفات في عبدٍ إلا أهلكته في الدنيا قبل الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى وكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *

---

(١) تفسير العلامة السعدي.ص:٧٢٥-٧٢٦.ط دار الحديث.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى * وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى * فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٢٤-١٣٠].

الفصل الرابع
احذروا هؤلاء وأمثالهم

في هذا الفصل أسوق بعض المواقف المخزية لثلة من المنافقين في المدينة ليحذر الناس أمثالهم في هذا الواقع الأليم الذي تمر به أمتنا حيث كثر المنافقون وتعددت مواقفهم وتنوعت أساليبهم في تشويه الإسلام والانتقاص من قدر حملته من العلماء العاملين والدعاة المخلصين،

وإليك أخي القارئ هذه المواقف المخزية لأهل النفاق:

١. عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين؛

عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق في مدينة رسول الله ﷺ هذا الرجل الذي طمس الله نور قلبه وختم على فؤاده فأغلق قلبه أمام نور الإيمان ولم يسمح هذا الخبيث لنفسه أن يكون صادقاً مع الله ومع نبيه ﷺ ولم يتجاوب مع دعوة الرسول ﷺ المتكررة لنبذ النفاق والتمسك بالإخلاص والصدق وإنما ظلَّ أسيراً لشهوات زائلة وزعامات فانية وأحقاد دفينة ملكت عليه قلبه ونفسه.

- يقول ابن هشام رحمه الله في سيرته: قدم الرسول ﷺ المدينة وسيد أهلها عبد الله بن أبي بن سلول العوفي... لم تجتمع الأوس

والخزرج قبله ولا بعده على رجل غيره من أحد من الفريقين، حتى جاء الإسلام وكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله ﷺ وهم على ذلك ، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن ورأى أنَّ رسول الله ﷺ قد استلبه ملكاً فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مصراً على نفاق وضغن وقد تزعم هذا الرجل جبهة المنافقين.

- الذين ظلُّوا يبثون إشاعاتهم وأراجيفهم بين المسلمين وكانوا خطراً وأي خطر على هذا المجتمع الجديد الناشئ مما جعل الرسول ﷺ والمسلمين منهم على حذر دائم لأنهم أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من الأعداء المجاهدين. فالمثل يقول: «لص الدار لا تراقِبُه الأنظار» ومعروف أنّ العدو المخالط أخطر وأشد كيداً من العدو البعيد ولذلك قالوا: عدو واحد داخل الدَّار أخطر من ألف عدو خارج الدار وهذا هو المنافق يخفى على الناس وهو بينهم، ويختلط بهم ويظهر لهم الولاء والصداقة والأخوة، في نفس الوقت الذي يعمل فيه معولة هدماً وتدميراً ويتحين الفرص المواتية التي يضرب فيها ضرباته.

ومن رحمة الله تعالى- بهذه الأمة أن فصَّل صفات المنافقين والنفاق

حتى يحذر المجتمع منهم.

لقد تمكن الحقد والحسد من نفس عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق في المدينة فظلّ يظهر الإسلام ويبطن الكفر والحقد والشر والكيد ويتحين الفرص للإيقاع بالمسلمين ولم يأل جهداً من حبك المؤامرات في الظلام والطعن في الظهر وإليك بعض مواقفه الخبيثة المخزية:

الموقف الأول: تحالفه مع قريش ضد الإسلام والمسلمين:

عندما قدم الرسول الله ﷺ المدينة وامتلأ قلب عبد الله بن أبى بن سلول حقداً على رسول الله وعلى الإسلام لأنه رأى أن الرسول ﷺ استلبه الملك وإذا بكفار مكة قد زادهم غيظاً أن فاتهم المسلمون ووجدوا مأمناً ومقراً بالمدينة، فكتبوا إلى عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين في المدينة وكان إذ ذاك مشركاً - بصفته رئيس الأنصار قبل الهجرة كتبوا إليه وإلى أصحابه المشركين يقولون لهم في كلمات باتة: «إنكم أويتم صاحبنا ، وإنّا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنّه ، أو لنسيرنّ إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم»[1].

وبمجرد بلوغ هذا الكتاب قام عبد الله بن أبى بن سلول ليمثل

---

(١) أبو داود: باب خبر النضير ٢/ ١٥٤.

أوامر إخوانه المشركين من أهل مكة – وقد كان يحقد على النبي ﷺ: لما يراه أنه استلبهُ ملكه– يقول عبد الرحمن بن كعب: فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبى سلول ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ فلما بلغ ذلك النبيَّ ﷺ لقيهم، فقال: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر ما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم» فلمَّا سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا[١].

امتنع عبد الله بن أبى عن القتال إذ ذاك لما رأى خوراً أو رشداً في أصحابه ولكن يبدو أنه كان متواطئاً مع قريش فكان لا يجد فرصة إلا وينتهزها لإيقاع الشر بين المسلمين والمشركين وكان يضم معه اليهود ليعينوه على ذلك ولكن تلك هي حكمة النبي ﷺ التي كانت تطفئ نار شرهم حيناً بعد حين[٢].

الموقف الثاني: بنو قينقاع ينقضون العهد وابن سلول يطلب الصفح عنهم:

---

(١)أبو داود: باب خبر النضير ٢/ ١٥٤.

(٢)انظر في هذا الصدد: صحيح البخاري ٢/ ٦٥٦/٦٥٥، ٩١٦، ٩٢٤.

لّما فتح الله للمسلمين في بدر اشتد طغيان اليهود في المدينة، وتوسعوا في تحرشاتهم واستفزازاتهم، فكانوا يثيرون الشغب ويتعرضون بالسخرية، وكانت شر طائفة من طوائف اليهود هم يهود بني قينقاع فكانوا يسكنون في داخل المدينة في حي باسمهم- وكانوا صاغة وحدادين وصناع الظروف والأواني وكانوا يواجهون بالأذى كل من ورد سوقهم من المسلمين حتى أخذوا يتعرضون بنسائهم.

وعندما تفاقم أمرهم واشتد بغيهم، جمعهم رسول الله ﷺ فوعظهم ودعاهم إلى الرشد والهدى، وحذرهم مغبة البغي والعدوان ولكنهم ازدادوا في شرهم وغطرستهم.

روى أبو داود وغيره، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: لما أصاب رسول الله ﷺ يوم بدر، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال: «يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً» قالوا: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نقراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلتق مثلنا فأنزل الله تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ

* قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٢-١٣]. كان في معنى ما أجاب به بنو قينقاع هو الإعلان السافر عن الحرب ولكن كظم النبي ﷺ غيظه وصبر المسلمون وأخذوا ينتظرون ما تتخفى عنه الليالي والأيام.

و ازداد اليهود من بني قينقاع جراءة فقلّما لبثوا أن أثاروا في المدينة قلقاً واضطراباً، وسعوا إلى حتفهم بظلفهم، وسدوا على أنفسهم أبواب الحياة.

روى ابن هشام عن أبى عون: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته في سوق بنى قينقاع، وجلست إلى صائغ فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها -وهي غافلة- فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً- فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[1].

وحينئذ عِيل صبر رسول الله ﷺ فاستخلف على المدينة أبا لبابة بن

---

(١) ابن هشام: ٢/ ٤٧-٤٨.

عبد المنذر، وأعطى لواء المسلمين حمزة بني عبد المطلب، وسار بجنود الله إلى بني قينقاع، ولما رأوه تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم أشدَّ الحصار وكان ذلك يوم السبت للنصف من شوال سنة ٢هـ ودام الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وقذف الله في قلوبهم الرعب- فهو إذا أراد خذلان قوم وهزيمتهم أنزله عليهم وقذفه في قلوبهم- فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم، فأمر بهم فكتفوا.

- وحينئذ قام «عبد الله بن أبي بن سلول» بدور نفاقه فألح على رسول الله ﷺ أن يصدر عنهم العفو فقال: يا محمد أحسِنْ في موالىّ -وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج- فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فكرر «ابن أبي» مقالته فأعرض عنه، فادخل يده في جيب درعه فقال له رسول ﷺ: «أرسلني» وغضب حتى رأوْا لوجهه ظُللا[1]، ثم قال: «ويحك أرسلني» ولكن المنافق مضى على إصراره وقال. والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر[2] وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر

(١) كناية عن تغيير وجه النبي صلّى الله عليه وسلّم.
(٢) لا درع له.

والأسود، تحصدهم في غداة واحدة؟ إني والله أخشى الدوائر. وعامل رسول الله ﷺ هذا المنافق عامله بالحسنى فوهبهم له وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها فخرجوا إلى أَذْرُعَات الشام، فقل أن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم.

وقبض رسول الله ﷺ منهم أموالهم، فأخذ منها ثلاث قِسيّ ودرعين وثلاثة أسياف وثلاثة رماح وخمس غنائمهم وكان الذي تولى جمع الغنائم محمد بن مسلمة[1].

الموقف الثالث: تمرد عبد الله بن أبى وأصحابه يوم أحد:

بعد أن عزم الرسول ﷺ على الخروج لملاقاة جيش المشركين يوم أُحد وعندما وصل إلى مقام يقال له: « الشيخان» استعرض جيشه، فرد من استصغره ولم يره مطيقاً للقتال، وكان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما... وأسامة بن زيد وأسيد بن ظُهَيْر وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم وعَرَابة بن أوس وعمر بن حزم وأبو سعيد الخدري، وزيد بن حارثة الأنصاري، وسعد بن حَبَّة، ويذكر في هؤلاء البراء بن عازب، لكن حديثة في البخاري يدل على شهوده

(١) زاد المعاد ٢/ ٧١، أو وابن هشام ٢/ ٤٧-٤٩.

القتال ذلك اليوم.

وأجاز رافع بن خديج وسَمُرَة بن جُنْدَب على صغر سنهما وذلك أن رافع بن خديج كان ماهراً في رماية النبل فأجازه، فقال سمُرة: أنا أقوى من رافع، أنا أصرعه، فلما أخبر رسول الله ﷺ بذلك أمرهما أن يتصارعا أمامه فتصارعا، فصرع سمُرة رافعاً فأجازه أيضاً.

و في هذا المكان أدركهم المساء ، فصلّى المغرب ثم صلّى العشاء وبات هنالك واختار خمسين رجلاً لحراسة المعسكر يتجولون حوله وكان قائدهم محمد بن مسلمة الأنصاري وتولى ذكْوَان بن عبد قيس حراسة النبي ﷺ خاصة.

وقبل طلوع الفجر بقليل أدلج حتى إذا كان بالشّوْط صلى الفجر وكان بمقربة جداً من العدو، فقد كان يراهم ويرونه، وهناك تمرد «عبدالله بن أبي بن سلول» المنافق فانسحب بنحو ثلث العسكر - ثلاثمائة مقاتل- قائلاً: ما ندرى علام نقتل أنفسنا ؟ ومتظاهراً بالاحتجاج بأن الرسول ﷺ ترك رأيه وأطاع غيره.

ولا شك أن سبب هذا الانعزال لم يكن هو ما أبداه هذا المنافق من رفض رسول الله ﷺ رأيه وإلا لم يكن لسيره مع الجيش النبوي إلى هذا

المكان معنى ، ولو كان هذا هو السبب لا نعزل عن الجيش منذ بداية سيره ، بل كان هدفه الرئيس من هذا التمرد في ذلك الظرف الدقيق أن يحدث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوهم، حتى ينحاز عامة الجيش عن النبي ﷺ وتنهار معنويات من يبقى معه، بينما يتشجع العدو ، وتعلو همته لرؤية هذا المنظر، فيكون ذلك أسرع إلى القضاء على النبي ﷺ وأصحابه المخلصين ، ويصفو بعد ذلك الجو لعودة الرياسة إلى هذا المنافق وأصحابه.

وكاد المنافق ينجح في تحقيق بعض ما كان يهدف إليه، فقد همّت طائفتان – بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج- أن تفشلاً ولكن الله تولاهما فثبتتا بعدما سرى فيهما الاضطراب وهمتا بالرجوع والانسحاب وعنهما يقول الله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وحاول عبد الله بن حَرَام -والد جابر بن عبد الله- تذكير هؤلاء المنافقين بواجبهم في هذا الظرف الدقيق، فتبعهم وهو يوبخهم ويحضهم على الرجوع ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم عبد الله بن حرام قائلاً:

أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيَّه.

و في هؤلاء المنافقين يقول الله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

الموقف الرابع: حادثة الإفك والتي تولى كبرها عبد الله بن أبي بن سلول:

حاول المنافقون الطعن في عرض النبي ﷺ بالافتراء على الطاهرة العفيفة الصديقة بنت الصديق الحصان الرزان حبيبة رسول الله ﷺ وزوجته في الدنيا وفي الجنة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق- رضي الله عنها وعن أبيها- بما يُعرف في كتب السيرة بحادثة الإفك والذي تولى كبرها رأس المنافقين في المدينة « عبد الله بن أبي بن سلول» والذي كان القصد منها النيّل من النبي ﷺ ومن أهل بيته الأطهار لإحداث الاضطراب والخلل في المجتمع الإسلامي بعد أن فشلوا في إثارة النعرة الجاهلية، لإيقاع الخلاف والفرقة بين المسلمين.

و قد أخرج البخاري ومسلم -رحمهما الله تعالى- في صحيحيهما

حديث الإفك وإليك نص الحديث كما رواه البخاري في صحيحة برقم:٢٦٦١ عن عائشة – رضي الله عنها- قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين أزواجه، فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت معه، بعدما أنزل الحجاب، فأنا أُحمل في هودج وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني، أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، فأقبل الذين يرحلون لي ، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهو يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن، ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج وليس فيه أحد، فأممت منزلي الذي كنت به، فظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليَّ، فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت، وكان « صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني» من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني، وكان يراني قبل الحجاب،

فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته، فوطئ يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهراً، يفيضون من قول أصحاب الإفك، ويريبني في وجعي: أني لا أرى من النبي ﷺ اللُطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، وإنما يدخل فيسلِّم ثم يقول: «كيف تيكم» لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت- فخرجت أنا وأم مسطح قِبَل المناصح متبرزنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في البرية، أو في التنزه، فأقلبت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي، فعثرت في مرطها، فقالت: تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدراً فقالت: يا هنتاه ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرض، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ فسلم فقال «كيف تيكم»؟ فقلت: ائذن لي إلى أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله ﷺ. فأتيت أبوي فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية هوني على نفسك الشأن فو الله لقلّما كانت امرأة قط وضيئة، عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها

فقلت: سبحان الله ولقد يتحدث الناس بهذا؟ قالت: فبتُّ الليلة حتى أصبحت، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأمَّا أسامة فأشار عليه بالذي يعلم من نفسه من الودّ لهم، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيراً، وأمّا عليٌّ بن أبى طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «يا بريرة هل رأيت شيئاً يريبك؟ فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت منها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن العجين، فتأتي الدواجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبى بن سلول» فقال رسول الله ﷺ: «من يعذرني من رجل بلغني آذاه في أهلي، فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي» فقام «سعد بن معاذ» فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه: إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك.

فقال «سعد بن عبادة» وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على ذلك. فقال «أسيد بن الحضير» فقال: كذبت لعمر الله والله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان: الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله ﷺ على المنبر فنزل فخفقهم حتى سكتوا وسكت، وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح عندي أبواي، قد بكيت ليلتين ويوماً، حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبيناهما جالسان عندي وأنا أبكي، إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل فِيَّ ما قيل قبلها، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء قالت: فتشهد ثم قال: «يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بشيء فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه». فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: وأنا جارية حديثة السنِّ لا أقرأ كثيراً

من القرآن فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر من أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني لبريئة، لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة لتصدقني والله ما لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون» ثم تحولت إلى فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحياً ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ من القوم رؤيا يبرئني الله، فو الله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شاتٍ، فلما سرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: «يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله» فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآيات فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر- رضي الله عنه- وكان ينفق على «مسطح بن أثاثة» لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً، بعد ما قال لعائشة.

فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ -إلى قوله: ﴿أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه، وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: «يا زينب ما علمت ما رأيت » فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيراً قالت: وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع.

فتأمل أخي- رحمك الله عزّ وجلّ - إلى فضل الله ومنته وحكمته الجليلة والعظيمة في الدفاع عن المؤمنين وكشف وفضح المنافقين الذين أرادوا النيل من أطهر بيت وأشرفه منذ أن خلق الله آدم وإلى يومنا هذا، بل وإلى قيام الساعة.

وسيظل أهل النفاق في كل زمان ومكان يحاولون النيل من الإسلام وأهله بل درج على شاكلة رأس المنافقين في المدينة «عبد الله بن أبى ابن سلول» فرقة الروافض فطعنوا في الطاهرة المبرأة من فوق السبع الطباق الصديقة بنت الصديق عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها وأرضاها- فابتلاهم الله تعالى من جنس أعمالهم لأن الجزاء من جنس

العمل فأحلوا الزنا في صورة زواج المتعة الذي حرمه الإسلام بل عندهم زواج المتعة من الفضائل ويترتب عليه الأجور العظيمة- في زعمهم- وهذه من أشد العقوبات التي ابتلوا بها جزاءً وفاقا فاختلطت أنسابهم وكثر فيهم أبناء الزنا وفشت فيهم الفاحشة بسبب فجورهم وطعنهم في الطاهرة الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين زوج النبي ﷺ في الدنيا وفي الجنة أمنا عائشة رضي الله عنها ومعلوم أن الذي يرمي أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها- بالفحش لاحظ له من الإسلام فهو أول مكذب بالقرآن حيث برأ الله تعالى أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها- من فوق سبع سموات.

لما ابتلاهم الله بقبح أعمالهم وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

٢- أوس بن قيظي يوم الخندق:

من مواقف المنافقين المخزية موقف أوس بن قيظي يوم الخندق عندما اجتمع الأحزاب على الإسلام والمسلمين وضاقت الأرض على المسلمين بما رحبت وبلغت القلوب الحناجر فاستغل المنافقون هذه الشدة التي يعاني منها المسلمون وبدأوا في التخذيل والتثبيط فلم

يشاركوا المسلمين في حفر الخندق بل قالوا كما يحكي القرآن الكريم في سورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣].

هذه هي الطائفة المنافقة، الطائفة المظهرة للإسلام كذباً والمبطنة للكفر فهي عندما وصلت الحالة في غزوة الأحزاب إلى ما وصلت إليه أعلنت هذه الجماعة المنافقة كفرها وقالت: «يا أهل يثرب لا مقام لكم» وعادوا للاسم الجاهلي «يثرب» ويتركوا الاسم الذي اختاره الرسول ﷺ لها وهي «المدينة» « طيبة» وهذا نهج أهل النفاق في كل زمان ومكان يبغضون كل ما يتصل بالإسلام وينفِّرون الناس منه ويشوهون صورة المسلمين والدعاة المخلصين كما نرى ونسمع من أذيال العلمانية في وسائل والإعلام المختلفة في بلاد الإسلام فهم حرب على كل ما يتصل بالإسلام وكل من يدعو إلى الله عزّ وجلّ وإلى التمسك بشرعه يشوهون صورته ويخوضون في عرضه وينفِّرون الناس من دعوته.

فقوله ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الاحزاب: ١٣] أي: اتركوا محمداً وأصحابه في الخندق وارجعوا

إلى بيوتكم في المدينة ومن قال هذا قيل هو: أوس بن قيظى ومن رافقه فخوفوا وثبطوا أهل الإيمان إنه لموقف مخزي ينضح بالنفاق والخسة لذا حكم عليه بالفشل والخزي ولم يفلح بل ثبت الله تعالى أهل الإيمان فبمجرد رؤيتهم للأحزاب قالوا كما يحكي القرآن الكريم: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وحقق الله النصر لأهل الإيمان يوم الخندق والهزيمة والاندحار للأحزاب والخزي للمنافقين وهكذا ينبغي لأهل الإيمان في كل زمان ومكان أن يثبتوا فإن العاقبة للمتقين.

٣- موقف «الجد بن قيس» يوم تبوك:

من صفات المنافقين صفة العذر للتخلف عن الجهاد في سبيل الله والخروج عما أوجبه عليهم وافترضه الله ومن أعذارهم خوف الوقوع في الفتنة.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤٩].

وقد نزلت هذه الآية في « الجد بن قيس» حين رغَّب النبي ﷺ في

الجهاد في سبيل الله في غزوة تبوك في جيش العسرة وقال للصحابة – رضي الله عنهم–: اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر فقال الجُد: ائذن لي ولا تفتني بالنساء واعتذر بأنه لا يصبر عنهن فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ فلقد حفظ الله هذا الموقف وهذا الروغان من هذا المنافق ومن كان على شاكلته لتحفظ الأمة ولا تنسي أن الذئب قد يلبس ثوب التنسّك والنصح فهذا المنافق لبس ثوب التنسّك وزعم أنه يخشى على دينه من الفتنة بالنساء فيخسر الدنيا والآخرة فكأنه يقول لا تظن بي أنني لم أخرج مع الجيش لقتال الأعداء هو أني لا أريد الشهادة كلا إنما هي خشيتي على نفسي من الفتنة فكان الرد من ذي الجلال من الحكيم الخبير العليم بقوله: ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾.

وهذا الموقف المخزي لهذا المنافق يذكرنا بقصيدة لأمير الشعراء «أحمد شوقي» يقول فيها:

برز الثلعب يوماً في ثياب الواعظينا ... فمشى في الأرض يهدى ويسب الماكرينا

ويقول: الحمد لله إله العالمينا ... يا عباد الله توبوا فهو كهف التائبينا

وازهدوا في الطير إن العيش عيش الزاهدينا ... واطلبوا الديك يؤذن لصلاة الصبح فينا

فأتي الديكَ رسولٌ من إمام الناسكينا عرض الأمر عليه وهو يرجو أن يلينا

فأجاب الديكُ عُذراً يا أضلَّ المهتدينا بلّغ الثعلب عني عن جدودي الصالحينا

عن ذوى التيجان ممن دخل البطن اللعينا أنهم قالوا وخير القول قول العارفينا

مخطئ من ظن يوماً أن للثعلب دينا مخطئ من ظن يوماً أن للثعلب ديناً

كما يذكرنا بهذا الموقف أيضاً هذه القصة التي يرويها الأصمعي -رحمه الله- حيث يقول:

دخلتُ البادية فإذا أنا بعجوز تنوح وبين يديها شاة مقتولة وجرو ذئب مقفى فنظرتُ إليها فقالت: أو يعجبك هذا! فقلت: بلى وما قصتك؟ قالت: اعلم أن هذا جرو ذئب قد أخذناه فأدخلناه بيتنا فلما كبر قتل شاتنا فقلت في ذلك شعراً ثم أنشأت تقول:

بقرت شويهتي وفجعت قلبي وأنت لشاتنا ولد ربيب

غُذِيت بدرّها ونشأت معها فمن أنباك أن أباك ذيب

إذا كان الطباعُ طباعَ سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

هذا وما أكثر مواقف المنافقين المُخزية فأكتفي بما ذكرتُ فاللّبيب تكفيه الإشارة.

أخي؛

هنا توقف مداد القلم بعد أن طوَّفتُ بك مُحذراً من النِّفاق وأهله، وبيَّنتُ لك خطر المنافقين تبليغاً ودعوة وبَذْلاً للخير لأهل الإيمان، وإقامة للحجة على أهل العناد والبعد عن منهج الله تعالى.

وأسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا كلها صالحة وأن يجعلها لوجهه خالصة،

وأن لا يجعل لأحد فيها شيئاً وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه:

أبو أحمد سيّد عبد العاطي بن محمد الذهبي

غفر الله له ولوالديه ولزوجته وولده وللمسلمين والمسلمات

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى-.

٣- تفسير الإمام القرطبي – رحمه الله تعالى-.

٤- تفسير الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله تعالى-.

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة السعدي – رحمه الله.

٦- صحيح الإمام البخاري مع الفتح– رحمه الله تعالى-.

٧- صحيح الإمام مسلم مع شرح النووي- رحمهما الله تعالى-.

٨- شرح رياض الصالحين للعلامة محمد صالح العثيمين – رحمه الله تعالى-.

٩- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي – رحمه الله تعالى-.

١٠- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية رحمه الله.

١١- مدارج السالكين للعلامة ابن القيم – رحمه الله تعالى-.

١٢- زاد المعاد للعلامة ابن القيم – رحمه الله تعالى-.

١٣- تهذيب لتسهيل العقيدة الإسلامية للشيخ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين - حفظه الله تعالى-.

١٤- الرحيق المختوم لصفى الرحمن المباركفوري - حفظه الله تعالى-.

١٥- معجم مقاييس اللغة لابن فارس- رحمه الله تعالى-.

١٦- القاموسي المحيط للفيروز أبادي- رحمه الله تعالى-.

١٧- لسان العرب لابن منظور - رحمه الله تعالى-.

١٨- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى-

١٩- النِّفاق وأثره للدكتور: عادل الشدى- حفظه الله تعالى-.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
التمهيد وفيه مبحثان	٧
المبحث الأول: تعريف النِّفاق	٧
أ. النِّفاق في اللغة	٧
ب. النِّفاق شرعاً.	٨
المبحث الثاني: أنواع النِّفاق وحكمه:	٩
أولاً: أنواع النِّفاق	٩
ثانياً: حكم النِّفاق	١٣
أ. حكم النفاق الاعتقادي	١٣
ب. حكم النفاق العملي.	١٤
الفصل الأول: سورة البقرة والحديث عن المنافقين:	١٥
أقسام الناس ثلاثة: أهل الإيمان، أهل الكفر، أهل نفاق	١٥
أ. بعض صفات أهل الإيمان	١٥
ب. بعض صفات أهل الكفر والعناد	١٦
ج. بعض صفات أهل النِّفاق	١٨

الموضوع	الصفحة
المرحلة الأولى: تبيان حقيقة المنافقين	١٨
المرحلة الثانية: ذكر نماذج من أقوالهم ومواقفهم	٢١
المرحلة الثالثة: مثلان يوضحان حال وشأن المنافقين	٢٧
الفصل الثاني: بعض أعمال المنافقين الكفرية	٣٢
١- الاستهزاء بالله وبرسوله وبالقرآن	٣٢
٢- سبّ الله تعالى أو سبّ رسوله أو تكذيبهما	٣٥
٣- الإعراض عن دين الإسلام وصد الناس عنه	٣٦
٤- التحاكم إلى الكفار وتفصيل أحكامهم على حكم الله تعالى	٣٧
٥- اعتقاد صحة المذاهب الهدامة والدعوة إليها مع معرفة حقيقتها	٤٠
٦- مناصرة الكفار ومعاونتهم على المسلمين	٤١
٧- إظهار الفرح والاستبشار عند انتصار الكفار	٤٣
٨- الطعن في العلماء والمصلحين وجميع المؤمنين الصادقين ..	٤٤
٩- مدح أهل الكفر ومدح مفكريهم ونشر أرائهم المخالفة للإسلام	٤٨

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث: صفات أهل النفاق والتلون	٥١
١- قلة الطاعات والتثاقل والكسل عن أداء العبادات والواجبات	٥١
٢- الجبن وشدة الخوف والهدع	٥٥
٣- السفه وضعف التفكير وقلة العقل والغباء.	٥٨
٤- التذبذب والمراوغة والتلون	٦١
٥- الانهزامية واحتقار الذات والشعور بالنقص أمام الأعداء	٦٤
٦- قلة الحياء وسلاطة اللسان	٦٧
الفصل الرابع: احذروا هؤلاء وأمثالهم	٦٩
١- عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين	٦٩
٢- أوس بن قيظي	٨٦
٣- الجد بن قيس	٨٨
المراجع والصادر	٩٢
فهرس الكتاب	٩٤